

حديث

احفظ الله يحفظك

دراسة حديثية دعوية فنية

إعداد

أ. د. فالح محمد بن فالح الصغير

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

حديث

احفظ الله يحفظك

دراسة حديثية دعوية نفسية

سلسلة أحاديث في الدعوة والتوجيه [٧]

حديث

احفظ الله يحفظك

دراسة حديثة دعوية نفسية

إعداد

أ. د. فالح بن محمد بن فالح الصغير

أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..
أما بعد:

فهذا شرح ميسر، وكلمات منثورة حول وصية من وصايا رسول الله ﷺ تحمل فوائد عظيمة، وحكمًا جليلة، وأحكامًا نافعة، أوصاها النبي ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنه في إحدى فرص لقاءاته معه، وكنت كتبت هذه الكلمات في حلقات، وألقيتها في إذاعة القرآن الكريم ضمن برنامجي: «من فقه السنة»، وقد سأل بعض من سمعها أن تفرغ في صفحات مستقلة ليكون النفع أشمل، والفائدة أكمل، فأجبت الطلب، لعل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها من أعظم القرب، فيعم بها النفع، ويُعظم فيها الأجر.

وهي جهد المقل، والمرجو فيها الصواب؛ فإن حصل فهو من الله سبحانه وتعالى، وما كان بخلافه فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله العفو والصفح، ثم من وجد أثناء القراءة ما يحتاج إلى إرشاد وتوجيه، فأسأله أن لا يبخل علي فيه، وذلك من التعاون على البر والتقوى، وله مني الشكر والدعاء.
والله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في الأقوال والأعمال، وأن يغفر ذنوبنا، ويرفع درجاتنا، ويعلي مقامنا؛ إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

فالح بن محمد بن فالح الصغير

المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها

faleh@alssunnah.com

نص الحديث

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لي: «يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقاليم، وجفت الصحف» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح^(١).

وفي رواية غير الترمذي: «احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»^(٢).



(١) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة (٤ / ٧٦) رقم الباب: (٢٢) رقم الحديث: (٢٦٣٥).

(٢) رواه الإمام أحمد (١ / ٤٨٢) رقم الحديث: (٢٦٦٤)، وأبو يعلى في مسنده، رقم الحديث: (٢٥٥٦).

أولاً: تخريج الحديث والحكم عليه

حديث ابن عباس في هذه الوصية أخرجه الإمام أحمد والترمذي وعبد بن حميد وابن الجعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقي والطبراني.

فأخرجه أحمد في مسنده في (١/٢٩٣)، وفي (١/٣٠٣)، وفي (١/٣٠٧).

وأخرجه الترمذي في سننه (٤/٦٦٧) وقال: «حديث حسن صحيح».

وعبد بن حميد في مسنده في (١/٢١٤).

وابن الجعد في مسنده في (١/٤٩٤).

وأبو يعلى في (٤/٤٣٠).

والحاكم في (٣/٥٤-٥٤٢).

والبيهقي في شعب الإيمان في (١/٢١٧)، وفي (٢/٢٧).

والطبراني في المعجم الكبير في (١١/٢٢٣).

ومجموع ما رواه هؤلاء من ثلاثة طرق:

أ- عن حنش عن ابن عباس رضي الله عنه مع اختلاف يسير في الألفاظ.

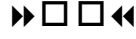
ب- رواه أحمد وغيره بأسانيد أخرى عن عبد الله بن يزيد، حدثنا كهمس بن الحسن، عن الحجاج بن الفرافصة رفعه إلى ابن عباس.

ج- ورواه أحمد أيضاً عن همام بن يحيى أسنده إلى ابن عباس.

وخلاصة الكلام على هذا الحديث، ما قاله ابن رجب رحمته الله: «وأخرجه أحمد

من حديث حنش الصنعاني مع إسنادين آخرين منقطعين». وقال: «وفي أسانيدها- بعد أن ذكر عدة طرق روي بها هذا الحديث- كلها ضعف، وذكر العقيلي أن أسانيد الحديث كلها لينة، وبعضها أصلح من بعض، وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنة جيدة»^(١) .هـ.

وبهذا يتبين أن أقل أحواله أنه حديث حسن.



(١) جامع العلوم والحكم (١/١٨٤).

ثانياً: فقه الحديث

هذا حديث عظيم، فيه فوائد كثيرة ومسائل مهمة في العقيدة والسلوك والأخلاق والآداب وغيرها.

قال الإمام ابن رجب رحمته الله: «وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة، وقواعد كلية من أهم أمور الدين، حتى قال بعض العلماء: تدبرت هذا الحديث فأدهشني، وكدت أطيئ، فيا أسفا من الجهل بهذا الحديث، وقلة التفهم لمعناه». اهـ (١).

وفي هذا الحديث عدة وقفات، أعرضها على النحو التالي:

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٢).

الوقفة الأولى

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال لي: «يا غلام! إني أعلمك كلمات». وفي هذا فائدتان:

الفائدة الأولى: اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتوجيه أمته، وتنشئتها على العقيدة السليمة، والأخلاق الفاضلة، والسلوك المستقيم؛ فنلاحظ هنا أنه صلى الله عليه وسلم حين ركب معه هذا الغلام الصغير لَقَّنه كلمات قليلة الألفاظ، كبيرة المعنى، لها آثارها ونتائجها في الدنيا والآخرة.

وهذه السمة - أعني الاهتمام بالجيل الناشئ، وتربيتهم على العقيدة السليمة - ينبغي أن تكون سمة المصلحين والمربين والمعلمين، فهم الذين تحملوا ميراث النبوة، وحملوا على عاتقهم مهمة محمد صلى الله عليه وسلم هادي البشرية إلى الخير، ومنقذها من الضلالة، ومرشدها إلى صراط الله المستقيم.

لكن الملاحظ أن بعضاً ممن ولي شيئاً من أمر الإصلاح أو التربية أو التعليم لا يعطي هذا الجانب حقه من العناية، سواء أكان مديراً أو معلماً أو موجهاً، فيصرف كثيراً من الأوقات هدراً بدون فوائد تذكر على الناشئة، وهذا أمر لا ينبغي، حيث إن جيل اليوم هم قادة المستقبل وموجهوا الأمة، فالاهتمام بهم ورعايتهم في غاية الأهمية والضرورة.

الفائدة الثانية: قوله صلى الله عليه وسلم: «يا غلام! إني أعلمك كلمات...»، فيه أهمية الأسلوب الحسن لتربية الناشئة، فالوصية التي سيوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عباس بها لها أهمية عظيمة، ومكانة كبيرة، ولذا يستجمع ذهن هذا الغلام، ويحضر قلبه

بمناداته، ثم يشوِّقه إلى ما سيقوله له، ويلفت انتباهه إلى نفاسة الوصية التي سيدلي بها إليه، فيقول: «إني أعلمك كلمات»، كل هذا من باب التشويق والانتباه، ولذا ينبغي على المعلم والمعلمة أن يراعي الأسلوب المناسب في عرض ما لديهما من معلومات ومعارف للتلاميذ، وكذا على الأب والأم والمربي أن يراعوا ذلك مع من يقوموا بتربيتهم؛ لأجل أن تأخذ وصاياهم مكانها المفيد عند السامع. وعليه: فمن مهام المربي الناجح استعمال أسلوب التشويق، ولفت الانتباه حتى يصغي المتعلم إلى ما سيقوله المعلم.



الوقفة الثانية

قوله ﷺ: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»، وفي رواية أخرى: «احفظ الله تجده أمامك».

وفي هذه الجملة عدة فوائد، هي:

الفائدة الأولى: في معنى قوله: «احفظ الله»، يقول العلامة ابن رجب رحمته الله:

أ- «احفظ الله» يعني: احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، وحفظ ذلك هو الوقوف عند أوامره بالامتثال، وعند نواهيه بالاجتناب، وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه، فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله تعالى في كتابه، وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ۝٣٣﴾ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ (١).

وفسر الحفيظ هنا بالحافظ لأوامر الله، وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها (٢).

ففهم من هذا: أن حفظ العبد لربه أن يقوم بأوامره وينفذها كما أمره، فإذا كان من أوامر الله الصلاة وسائر أركان الإسلام كان من المسارعين في التنفيذ والاستجابة، ومن حفظ العبد لربه أن يجتنب نواهيه وزواجره فلا يقربها، فإذا نُهي عن ارتكاب المنكرات، وزُجر عن اقتراف السيئات كالزنا، والسرقة، والإفساد، والكذب، والغيبة، والنميمة، ونحوها فعليه أن لا يقربها، وأن يتعد عنها.

(١) سورة ق، الآيتان: (٣٢ - ٣٣).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٦٢)

ومن حفظ العبد لربه: أنه إذا زل بزلة، أو ارتكب ذنبًا، أو خالف أمرًا من أوامر الله، أو عمل معصية من المعاصي؛ عليه أن يبادر بالتوبة والإنابة والاستغفار والرجوع لربه ومولاه، وخالقه، وموجده من العدم، والمنعم عليه، ليتم له حفظه ورعايته.

الفائدة الثانية: هناك عدد من النصوص القرآنية والنبوية أمرت بحفظ أشياء مهمة، أو المحافظة على بعض الأمور الشرعية، أستعرض بعضًا منها، فهاهنا ذلك:

أ- المحافظة على الصلاة، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالمحافظة عليها، فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ (١)، ومدح سبحانه المحافظين عليها بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٢).

وروى الإمام أحمد- بإسناد جيد- عن حنظلة الكاتب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حافظ على الصلوات الخمس: ركوعهن، وسجودهن، ومواقيتهن، وعلم أنهن حق من عند الله، دخل الجنة، أو قال: وجبت له الجنة، أو قال: حرم على النار» (٣).

ب- المحافظة على الطهارة والوضوء، فالطهارة مفتاح الصلاة وشرط لصحتها.

روى ابن ماجه والحاكم عن ثوبان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»،

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٣٨).

(٢) سورة المعارج، الآية: (٣٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٣٣٢) رقم الحديث: (١٧٨٨١-١٧٨٨٢).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين^(١).

ج- ومما جاءت النصوص في المحافظة عليه: المحافظة على الأيمان، قال ابن رجب رحمته: «إن الأيمان يقع الناس فيها كثيراً، ويهمل كثير منهم ما يجب بها فلا يحفظه ولا يلتزمه»^(٢).

ومن المؤسف حقاً أن كثيراً من المسلمين صار يستعمل الأيمان لداع ولغير داع، وبخاصة في البيع والشراء والخصومات والجدل واللجاج ونحو ذلك دون مراعاة لحقوق اليمين، ودون نظر للعقوبات والتناج لما تخلفه من آثار وخيمة في الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾^(٣).

د- ومما تجب المحافظة عليه: الرأس وما وعى من الحواس التي منحها الله للإنسان من سمع وبصر وغيرهما، فلا يستعملها إلا في طاعة الله تعالى، وحفظ البطن وما حوى، روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، وتحفظ البطن وما حوى»^(٤).

وحفظ الرأس وما وعى يدخل فيه حفظ السمع وصيانته من سماع المحرمات، فيحفظه العبد عن ذلك، ولا يستمع إلا لما أباحه الله تعالى له، كأن

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١١٠/٣٧) رقم الحديث: (٢٢٤٣٦)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب المحافظة على الوضوء (١/١٠١) رقم الباب: (٤) ورقم الحديث: (٢٧٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/٤٦٣).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٨٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨٧/٦) رقم الحديث: (٣٦٧١)، والترمذي في كتاب القيامة (٤/٥٤) رقم الحديث: (٢٥٧٥).

يستمتع لقراءة القرآن، أو إلى درس علمي، أو موعظة، أو ذكر الله تعالى، أو كلام مباح، ويتجنب سماع الكذب والغيبة والنميمة، وقول الزور والفحش والسباب.

ومما يتأكد تجنبه: سماع الأغاني الخليعة وما يتبعها والتي تصد عن الله، وتقسي القلب، وتقرب من الشيطان، وتزين الفاحشة، وتلهي عن الطاعة، وتسهل المعصية... إلى غير ذلك من الأمور المشينة.

ومما يتضمن حفظ الرأس وما وعى: حفظ البصر عن النظر إلى ما لا يحل النظر إليه من النساء الأجنبية عن الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (١).

وكما يجب على الرجل صيانة بصره ونظره؛ فينبغي على المرأة أيضًا كذلك أن تحافظ على بصرها، فلا تطلقه في النظر إلى الرجال الأجانب، وهذا الحكم ينطبق على الصور الخليعة في الأجهزة المرئية والصحف والمجلات ونحوها.

ومما يتضمنه حفظ الرأس أيضًا: المحافظة على اللسان، فلا يطلق المرء لسانه العنان يتكلم بما شاء من خير أو شر دون مراعاة لما ينبغي أن يتحدث به.

ومن ذلك: عدم إطلاق لسانه في أمور الحلال والحرام دون التمعن والتثبت فيما جاء عن الله تعالى أو عن رسوله ﷺ وهذا أمر خطير؛ فمن الملاحظ أن كثيرًا من الناس نصّب نفسه مفتيًا، وأخذ يقول على الله تعالى برأيه وبدون علم، ولنعلم أنه قد قيل: «من قال في كتاب الله تعالى برأيه فأصاب فقد أخطأ».

(١) سورة النور: (٣٠).

ومما تساهل فيه الناس كثيراً بالاشتغال بالغيبة والنميمة، ونقل كلام فلان وعلان، وصارت بعض المجالس ميداناً رحباً في أعراض المسلمين.

ومن ذلك أيضاً: التساهل في الكذب وقول الزور، وبخاصة في مجال الخصومات والبيع والشراء، ونقل الأخبار دون تثبت، ونحو ذلك.

والحاصل: أنه يجب على المسلم أن يحافظ كل المحافظة على لسانه، أخرج الحاكم في مستدركه، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة»^(١)، وفي رواية للبخاري: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»^(٢).

وروى الإمام أحمد وغيره من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حفظ ما بين فقمية (أي لحييه) وفرجه دخل الجنة»، قال المنذري: ورواته ثقات^(٣).

وروى الترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة»^(٤).

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٤ / ٣٥٧) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٤ / ٢٠٣٢) رقم الباب: (٢٣) رقم الحديث: (٦٤٧٤).

(٣) رواه الإمام أحمد (٤ / ٣٩٨) وفيه رجل لم يسم، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٢٩٨) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني بنحوه، ورجال الطبراني وأبي يعلى ثقات، وفي رجال أحمد راوٍ لم يسم، وبقيّة رجاله ثقات. اهـ..

(٤) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان (٤ / ٣١) رقم الباب: (٤٧) رقم الحديث: (٢٥٢١).

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عنه: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»^(١)، وفي رواية الترمذي وابن ماجه: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها سبعين خريفاً»^(٢).

وحفظ البطن وما حوى يتضمن حفظ القلب عن الشكوك والشبهات، وعن التعلق بالشهوات، وعن الإصرار على ما حرم الله تعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(٣)، ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٤).

وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول -وفيه-: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»^(٥).

ويتضمن حفظ البطن: حفظه من إدخال الحرام عليه من المآكل والمشرب، فيحرص كل الحرص أن لا يطعم ولا يشرب إلا ما أحلّه الله سبحانه وتعالى، وما

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان (٤ / ٢٩٣٢) رقم الباب: (٢٣) رقم الحديث: (٦٤٧٧)، ورواه مسلم في كتاب الزهد، باب حفظ اللسان، المجلد السادس (١٨ / ٤١١) رقم الباب: (٦) رقم الحديث: (٤٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢ / ٣٥٥، ٥٣٣)، ورواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء من تكلم بالكلمة ليضحك الناس (٣ / ٣٨١) رقم الباب: (٧) رقم الحديث: (٢٤١٦).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٣٥).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٣٦).

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١ / ٤١) رقم الباب: (٣٩) رقم الحديث: (٤٢)، ورواه مسلم في كتاب المساقاة والمزارعة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، المجلد الرابع (١١ / ٢٠٧) رقم الباب: (٢٠) رقم الحديث: (١٠٧).

كان من كسبٍ حلالٍ، فالله سبحانه وتعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيباً، وأيها جسدٍ نبت من حرامٍ فالنار أولى به.

روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ﴾^(٢)، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب، ومطعمه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟!»^(٣).

فمن خلال هذا يتبين أن الذي يتعامل بالحرام ويتعاطاه لم يحفظ الله تعالى، وقد عرض نفسه لأمر خطير وعظيم.

هـ- ومما يحفظ به العبد ربه المحافظة على فرجه، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ الفروج، وقد مدح الحافظين لها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَادِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(٤)، ويقول سبحانه وتعالى في معرض ذكره لصفات المؤمنين: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ

(١) سورة المؤمنون، الآية: (٥١).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٧٢).

(٣) رواه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضيلة الإنفاق، المجلد الثالث (٧/ ٨٣) رقم الباب: (١٩) رقم الحديث: (٦٥).

(٤) سورة النور، الآية: (٣٠).

وَالْحَنِيفِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَنَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ عَٰلِحِ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٢﴾﴾.

وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»^(٣)، وفي رواية للحاكم قال: «من حفظ ما بين لحييه، وما بين رجليه دخل الجنة»^(٤).

فعلى المسلم والمسلمة أن يحافظا على فروجهما، وأن لا يستعملانها إلا فيما أباحه الله سبحانه وتعالى، ومن عرض نفسه للحرام فقد ارتكب جرماً خطيراً، وذنباً عظيماً، وكبيرة من كبائر الذنوب، عافانا الله وإياكم من ذلك.

واعلم أيها المسلم: أنه ينبغي أن يحافظ العبد على أوامر الله تعالى فينفذها ويحرص على تطبيقها، وأن يحافظ على نواهيهِ وزواجرهِ فلا يرتكبها، وأن يحافظ على حدودهِ فلا يتجاوزها أو يتعداها، وإن من خالف ذلك فقد عرض نفسه لعدم حفظ الله جل وعلا.

الفائدة الثالثة: قوله ﷺ: «يحفظك»، وقوله: «تجدّه تجاهك»، وفي رواية:

«تجدّه أمامك».

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٣٥).

(٢) سورة المؤمنون، الآيات: (١-٦).

(٣) تقدم تحريجه.

(٤) تقدم تحريجه.

يفيد هذا النص: أن من حفظ الله تعالى فإن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظه في الدنيا والآخرة، فمن حفظ حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله، فإن الجزاء من جنس العمل، قال ابن رجب: «حفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان:

أحدهما: حفظه له في مصالح دنياه، وذلك كحفظه في بدنه، وولده، وأهله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١)، قال ابن عباس: «هم الملائكة يحفظونه بأمر الله، فإذا جاء القدر خلوا عنه».

ومن حفظ الله تعالى في صباه، وفي صغره وشبابه، وحال قوته، حفظه الله في حال كبره وضعفت قوته، ومرضه، ومتعته بسمعه وبصره، وحوله وقوته، وعقله، وذكر ابن رجب أن بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بقوته وعقله، فوثب يوماً وثبةً شديدة فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر.

والنوع الثاني: وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه، فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان» (٢). ١. هـ. رَحِمَهُ اللَّهُ.

وتفصيل ذلك: أن الله سبحانه وتعالى تكفل لعبده المؤمن الذي حافظ على أوامر ربه ونواهيه ولم يتعد حدوده بأن:

أ- يحفظه في الدنيا من الشبهات التي تعتري الإنسان، والتي ربما يزيغ عن الصراط المستقيم بسببها، ويجيد عن جادة الحق؛ فيضل مع الضالين، ويهلك مع

(١) سورة الرعد، الآية: (١١).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/١٨٧) بتصرف.

الهالكين، من حيث يشعر أو لا يشعر، وبخاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الشبه وتنوعت، وصار لها مروجون ودعاة يثيرونها، ويكثرون الجدل فيها بقصد أو بغير قصد، ومن استسلم لهذه الشبه فعليه خطر في دينه وإيمانه.

ب- من حفظ الله أيضاً حفظه في هذه الدنيا من الشهوات المحرمة التي يزينها الشيطان للإنسان، ويسهل له الوقوع فيها، وبخاصة في هذا الوقت الذي تعددت فيه مصادر الشهوات ومواردها؛ فمن لم يحفظ الله تعالى لم يسلم من الوقوع فيها، ومشاركة الشيطان في ارتكابها واقترافها، ولهذا كله كان رسول الله ﷺ يدعو ربه بأن يحفظه بالإسلام، وكان يعلمه لأصحابه، روى ابن حبان في صحيحه، عن عمر بن الخطاب أن النبي ﷺ علمه أن يقول: «اللهم احفظني بالإسلام قائماً، واحفظني بالإسلام قاعداً، واحفظني بالإسلام راقداً، ولا تطع فيّ عدواً ولا حاسداً» أي: لا تستجب دعاء عدو ولا حاسد فيّ^(١).

ويقول ابن عباس رضيهما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾^(٢) قال: «يحول بين المؤمن وبين المعصية التي تجره إلى النار»^(٣). ١. هـ.

وقال الله تعالى في شأن يوسف -عليه السلام- حيث حفظ الله تعالى في صغره وشبابه: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِدْءٍ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾^(٤).

ج- ومن حفظ الله لعبده: أن يحفظه عند موته من الزيغ والهلاك، فيتوفاه الله على شهادة الحق: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وما أحوج الإنسان في تلك

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، رقم الحديث: (٩٣٤)، وله شاهد من حديث ابن مسعود عند الحاكم (١/٥٢٥).

(٢) سورة الأنفال، الآية: (٢٤).

(٣) نقلاً من كتاب: جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/٤٧٠).

(٤) سورة يوسف، الآية: (٢٤).

اللحظات الحرجة إلى تلك الشهادة العظيمة التي يلقي بها ربه؛ لأن من لقي الله بها دخل الجنة، وحرم جسده على النار، روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقي الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة»^(١).

وروي أيضاً من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار»، وفي رواية: «أدخله الله الجنة من أي أبواب الجنة الشامية»^(٢).

فمن حفظ الله تعالى في هذه الدنيا حفظه الله تعالى عند الموت فيتوفاه على الإيمان، وهذه نعمة عظيمة ومنحة كريمة، ولو لم يكن إلا هي لكفت، لعظمتها وحاجة كل إنسان إليها في تلك الساعة العظيمة التي ينتقل فيها من دار الدنيا إلى دار الآخرة، لا أهل ولا مال ولا صاحب ولا عيال، فليس معه إلا عمله؛ فإن كان صالحاً فليبشر بحفظ الله ورعايته له، وإن كان غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

د- ومن حفظ الله تعالى أيضاً لعبده: أن يحفظه بعد موته في القبر والحشر، وفي الدار الآخرة، ومن المعلوم أن الإنسان إذا مات ييادر أهله وذووه لقبره في تلك الحفرة الصغيرة الموحشة، يأتون به مسرعين، وما هي إلا لحظات ثم يفارقونه ويودعون تاركينه لوحده، فيتعد عنه الأهل والأصحاب، ويبقى معه عمله، فمن كان عمله صالحاً نظيفاً في هذه الدنيا، حافظاً لله عز وجل، فليبشر

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب جواز عرض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة، المجلد الأول، (١ / ٨١)، رقم الباب: (١٠)، رقم الحديث: (٤٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالشهادتين حرم الله عليه النار، المجلد الأول، (١ / ٢٨٣)، رقم الباب: (١٠)، رقم الحديث: (٤٦).

بخير منزل ينزله، فيكون هذا القبر روضة من رياض الجنة، ومن كان غير ذلك فليبشر بالذي يسوءه فستكون هذه الحفرة حفرة من حفر النار، والعياذ بالله.

أخي المسلم! من يضمن لنفسه حيلة في تلك الحالة؟ ومن يضمن أن يكون قبره روضة من رياض الجنة؟ بل من يضمن لنفسه أن يخرج من هذه الدنيا لاله ولا عليه؟ إن الأمر جد خطير وعظيم، وإن الناظر في حياة كثير من المسلمين اليوم يجد أن الاستعداد للقبر وضمته ووحشته ضعيف، فكثير من المسلمين اشتغل بأموره الدنيوية وتشاغل بها عن طاعة الله ﷻ، ولم يجلس مع نفسه لحظات يفكر فيها بمصيره وأين سيؤول، ولم يحاسب نفسه^(١)، ويعرض أعماله على ميزان شريعة الله فما كان موافقاً لها فيحمد الله تعالى، وما كان غير ذلك فيجدد التوبة لله ﷻ، ويقلع عمماً يرتكبه من معاصي وآثام. كثير من المسلمين تساهل في كثير المحرمات وارتكب كثيراً من المنكرات، ولم يعلم أن كل صغيرة وكبيرة عملها في هذه الدنيا سيجازى عليها، إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشرّاً، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٨).

أخي المسلم! احفظ الله في هذه الدنيا يحفظك في دنياك، ويحفظ عليك دينك عند الموت، وفي القبر، وحاسب نفسك محاسبة دقيقة قبل أن تحاسب، وزن أعمالك قبل أن توزن، وأكثر من التوبة والندم على أفعالك الخاطئة، واستغفر الله من سائر الذنوب والمعاصي.

هـ- يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «معناه: أن من حفظ حدود الله، وراعى حقوقه؛ وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه، يحوطه وينصره، ويوفقه

(١) تنظر: فوائد المحاسبة وما يتعلق بها في بحثنا: «وقفات مع آخر العام».

(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: (٧ - ٨).

ويسدده، يقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(١)، قال قتادة: «من يتق الله يكن معه، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل»، وكتب بعض السلف إلى أخ له: أما بعد، فإن كان الله معك فمن تخاف؟ وإن كان عليك فمن ترجو؟^(٢).

من هذا نفهم: أن من حفظ الله وجده تجاهه وأمامه في كل شيء، في الدنيا والآخرة، ولذا لما حفظ أنبياء الله ربهم حفظهم وكان معهم، يقول سبحانه وتعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^(٣)، ويقول حكاية عن موسى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^(٤)، وقال النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار عند هجرتهم إلى المدينة: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟! لا تحزن إن الله معنا»^(٥).

وإذا كان هذا الشأن في الدنيا، ففي الآخرة كذلك عندما يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، في ذلك اليوم العصيب الشديد الذي تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد!!

(١) سورة النحل، الآية: (١٢٨).

(٢) جامع العلوم الحكم (١ / ٤٧١).

(٣) سورة طه، الآية: (٤٦).

(٤) سورة الشعراء، الآية: (٦٢).

(٥) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم (٣ / ١١٢٥) رقم الباب:

(٢) رقم الحديث: (٣٦٥٣)، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر

الصديق، المجلد الخامس (١٥ / ٥٢٩) رقم الباب: (١) رقم الحديث: (١ / ٢٣٨١).

ما أحوج الإنسان في ذلك اليوم إلى حفظ الله تعالى ورعايته له، لينجو من أهوال ذلك اليوم، يقول الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۗ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ۗ ۝٣٢ مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۗ ۝٣٣ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۗ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۗ ۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۗ﴾ (١).

فمن حَفِظَ اللهُ تعالى في دنياه حفظه في آخرته؛ فأظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وورقه الجنة، ووقاه من النار: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۗ﴾ (٢).



(١) سورة ق، الآيات: (٣١ - ٣٥).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٣٣).

الوقفة الثالثة

إن المتأمل في أحوال كثير من المسلمين يجد أنهم لم يحفظوا الله، تعالى في هذه الدنيا، فيعرضون أنفسهم لعدم حفظ الله لهم في الدنيا والآخرة.

ففي جانب الأوامر والواجبات نجد تقصيراً بيناً، فكثير من الناس يتكاسل عن الصلوات، أو لا يؤديها في أوقاتها، أو لا يبالي بها، وكثير من الناس لا يراعي حق الله في ماله، ولم يدقق في مصادر دخوله وخروجه، أمن الحل أم من الحرام؟ ولا يبالي في إخراج زكاته، وهكذا.

وفي جوانب التربية والأسرة نجد الكثير ممن تساهل في تنشئتهم وتربيتهم، فتهاون في أوامر ربه ونواهيه، فلا يأمرهم بالخير، ولا ينهاهم عن الشر، وبالتالي ترتكب المنكرات، وتفشو المعاصر والآثام، وكأن الأمر لا يعنيه.

وفي جوانب المنهيات نجد تساهلاً بيناً، فالغيبة والنميمة والكذب، وفعل الفاحشة أو التساهل فيها، ونحو ذلك صار أموراً هيّئة عند بعض الناس، هل هؤلاء وأمثالهم حفظوا الله تعالى؟ وهل استعدوا لما أمروا بالاستعداد له يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفي الجوانب المالية نجد تعاملًا بالحرام دون حياءٍ من الله تعالى، أو خوف من عقابه، فمن تعامل بالربا والغش والخداع، ومن آكل أموال الناس بالباطل، ومن مبذر ومسرف في الملهيّات وغيرها.

وفي جانب العلاقات الاجتماعية والتكاسل فيها مثل عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتعامل مع الناس بالجفاء والغلظة ونحوها. هذا فضلاً عما

حصل في هذا الزمن من الضعف البيّن في الجوانب العقديّة، مثل: التعلق بالأموات، والتوسل بالأضرحة والأولياء، ودعائهم من غير الله تعالى، والركون إلى السحرة والدجالين، والكهنة والمشعوذين. إلى غير ذلك مما ينبىء عن واقع خطير، فعلى كل مسلم ومسلمة أن ينتبها إلى ذلك قبل أن يقول كل واحد: ليت.. يا ليت! ولا تنفع شيئاً ليت.



الوقفة الرابعة

قوله ﷺ: «تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

يقول ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «يعنى أن العبد إذا اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه؛ فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه، ومحبته له، وإجابته لدعائه، فمعرفة العبد لربه نوعان:

أحدهما: المعرفة التامة، وهي معرفة الإقرار به، والتصديق، والإيمان، وهي عامة للمؤمنين.

والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له»^(١).

وقال أيضاً: «ومعرفة الله لعبده نوعان: معرفة عامة، وهي علمه تعالى بعباده واطلاعه على ما أسره وما أعلنه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾^(٣).

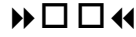
(١) جامع العلوم والحكم (١/٤٧٢، ٤٧٣)

(٢) سورة المائدة، الآية: (١٦).

(٣) سورة النجم، الآية: (٣٢).

والثاني: معرفة خاصة، وهي تقتضي محبته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله ﷺ فيما يحكي عن ربه: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(١) وفي رواية: «ولئن دعاني لأجيبه».

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد فليكثر الدعاء في الرخاء»^(٢).^(٣)



(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع (٤ / ٢٠٣٩) رقم الباب: (٣٨) رقم الحديث: (٦٥٠٢).

(٢) رواه الترمذي، رقم الحديث: (٣٣٨٢) والطبراني في الدعاء، رقم: (٤٤) وقال الترمذي: هذا حديث غريب، ورواه الحاكم في المستدرک (١ / ٥٤٤).

(٣) جامع العلوم والحكم (١ / ٤٧٣).

الوقفة الخايسة

أن من عرف الله في حال شبابه عرفه ربه جل وعلا في حال هرمه وضعفه، ومن عرف الله في حال صحته عرفه الله في حال مرضه، ومن عرف الله في حال قوته ونشاطه عرفه الله تعالى في حال ضعفه، ومن عرف الله تعالى في حال صغره عرفه الله في حال كبره، ومن عرف الله في الدنيا عرفه الله في الآخرة، ومن عرف الله حال رخائه عرفه الله في حال الشدة.

يقول الضحاك بن قيس رضي الله عنه: «اذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدة، إن يونس -عليه الصلاة والسلام- كان يذكر الله تعالى، فلما وقع في بطن الحوت قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيبِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١﴾﴾، أما فرعون الطاغية الذي كان ناسياً لذكر الله تعالى فلما أدركه الغرق قال: آمنت، فقال الله تعالى: ﴿ءَأَكْفُرُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٢﴾﴾» (٣).

وروى الشيخان في صحيحيهما، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آل بهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً -أي: لا

(١) سورة الصافات، الآيات: (١٤٣، ١٤٤).

(٢) سورة يونس، الآية: (٩١).

(٣) نقلاً من: جامع العلوم والحكم (١/ ٤٧٥).

أقدم عليهما في الشراب أحداً- فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرح -أي: لم أرجع- عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فلبثت -والقدح على يدي- أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغون عند قدمي -أي: يصيحون من الجوع- فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي، - وفي رواية: كنت أحبها حباً كأشد ما يحب الرجال النساء- فأردتها على نفسها، فامتنعت مني، حتى ألت بها سنة من السنين -أي: نزلت بها سنة من السنين المجدبة- فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلى بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها- وفي رواية: فلما قعدت بين رجلها- قالت: اتق الله! ولا تفض الخاتم إلا بحقه؛ فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه. فانفرت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إنني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم، غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره، حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله! أد لي أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك.. من الإبل والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي؟ فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستساقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك

فأفرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة؛ فخرجوا يمشون»^(١).

فانظر أخي المسلم إلى حال هؤلاء الثلاثة الذين عرفوا الله سبحانه وتعالى في رخائهم فعرفهم وقت الشدة، ولم ينفعهم إلا توسلهم إلى الله تعالى بأعمالهم الصالحة.

فدعوة أوجهها إليك أخي المسلم إلى مراقبة الله تعالى في حال الشباب والصحة والقوة والنعمة والرخاء والأمن والطمأنينة، دعوة أوجهها إليك لتلجأ إلى الله تعالى بدعوات صالحة بأن يغير من حالك إلى الأصلاح والأمثل، فإن حال الصحة والقوة والشباب لا يلبث إلا وأن يتغير ما دام الليل والنهار سائرين، وهذه سنة الله تعالى في الكون والعباد.. كل ذلك ليعرفك ربك حال ضعفك ومرضك وكبرك، وحال موتك وبعد موتك.



(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب إجابة دعاء منبرٍ والديه (٤ / ١٨٩٢) رقم الباب: (٥) رقم الحديث: (٥٩٧٤).

الوقفة السادسة

قوله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...».

هذه جملة عظيمة، كلماتها قليلة، ومعانيها كبيرة، وفيها عدة فوائد:

الفائدة الأولى: أن هذه الجملة موافقة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَعْبُدُ وَإِنَّا نَسْتَعِينُ﴾ (١)، فإن السؤال دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة، فقد روى

الترمذي من حديث أنس مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» (٢).

فلنلجأ إلى الله سبحانه وتعالى وحده بالسؤال، فقد قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٣)، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤).

الفائدة الثانية: دلت هذه الجملة على سؤال الله عز وجل دون خلقه، وهذا السؤال هو المتعين على العباد، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل، وفيه بيان حاجته وفقره إليه، كما أن فيه اعترافاً بقدرته المسؤول على نيل المطلوب، وإجابة السؤال، ودفع الضرر، وجلب النفع، ودرء المفسدة، وكل ذلك لا يصلح

(١) سورة الفاتحة، الآية: (٥).

(٢) رواه الترمذي في سننه، رقم الحديث: (٣٣٧١) والطبراني في الدعاء رقم: (٨) وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(٣) سورة غافر، الآية: (٦٠).

(٤) سورة البقرة، الآية: (١٨٦).

إلا لله وحده لا شريك له، يقول سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنَّ يُرِيدُكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (١).

وروى البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني» (٢).

يفهم من هذه النصوص وغيرها: أنه ينبغي للمسلم أن لا يلجأ بسؤاله ودعائه واستعانه واستغاثته إلا لله سبحانه وتعالى؛ فهو وحده المستحق لذلك، وهو الذي يجيب دعوة الداع إذا دعاه، ومن هنا نعلم خطأ من يلجأ بحاجته وسؤاله إلى غير الله، أو يتوسل بغيره له، كمن يتوسل بالأولياء والصالحين، أو بأضرحتهم وقبورهم؛ فمن فعل ذلك كان على خطر عظيم في دينه، فالله سبحانه وتعالى لم يجعل بينه وبين خلقه وسائط، بل هو قريب يسمع دعاء الداع: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٣).

الفائدة الثالثة: اعلم أخي المسلم أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يسأل، وأن يلجأ عليه في السؤال والدعاء والطلب؛ لأنه جواد كريم، بل يغضب سبحانه وتعالى من العبد الذي لا يسأله، أو يبحث عن واسطة بينه وبينه، فالدعاء

(١) سورة يونس، الآية: (١٠٧).

(٢) رواه البخاري، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٥/٢٣١٠) رقم الباب: (١٥) رقم الحديث: (٧٤٠٥)، ورواه مسلم في كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، المجلد السادس (١٨/٢١٨) رقم الباب: (١) رقم الحديث: (٢٦٧٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٨٦).

والسؤال لله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١).

وروى مسلم وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله عز وجل، ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه»^(٢).

وروى الترمذي بإسناد حسنه عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله تعالى: يا بن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا بن

(١) سورة النساء، الآية: (٣٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، المجلد السادس (١٦ / ١٠٢) رقم الباب:

(١٥) رقم الحديث: (٢٥٧٧ / ٥٥).

الدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»^(١).

من هذه النصوص النبوية نعلم أن الله سبحانه وتعالى قريب مجيب؛ فلا يبقى على المسلم إلا أن يلجأ إلى الله وحده لا شريك له، وأن يخلص دعاءه له، صدقاً من قلبه، ليتقبل الله دعاءه ويستجيب لمسألته، ويعطيه مطلوبه، فالله كريم جواد، خزائنه مملأى لا تنفذ: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾^(٢).

فهل بعد هذا كله يمكن للإنسان أن يتجه إلى المخلوق الضعيف ليسأله، أو يجعله واسطة بينه وبين ربه، رحم الله القائل:

لا تسألن بني آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأله يغضب

الفائدة الرابعة: قوله ﷺ: «وإذا استعنت فاستعن بالله...».

اعلم أخي المسلم! أن هذه الجملة موافقة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣)، ففيها: أن الاستعانة لا تكون إلا بالله سبحانه وتعالى، وذلك أن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على جلب مصالح الدين والدنيا إلا الله وحده، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، قال ابن رجب رحمه الله: «وهذا تحقيق معنى قول: لا حول ولا قوة إلا بالله،

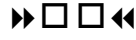
(١) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب غفران الذنوب مهما عظمت، رقم الحديث، (٣٥٣٤)، ورواه الدارمي في سننه (٢/ ٣٢٢)، وأحمد في المسند (٥/ ١٧٢).

(٢) سورة النحل، آية: (٩٦).

(٣) سورة الفاتحة، الآية: (٥).

فإن المعنى: لا تحول للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله سبحانه وتعالى»^(١).

فعلينا أن نتجه بالاستعانة بالله وحده لا سواه، نسأل الله الإعانة على ذلك، والتوفيق في الدنيا والآخرة.



(١) جامع العلوم والحكم (١/١٩٣).

الوقفة السابعة

قوله ﷺ: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

وفي هذا النص عدة فوائد:

الفائدة الأولى: أن المراد بهذه الجملة - كما يقول ابن رجب رحمه الله -: «إن ما يصيب العبد في دنياه مما يضره أو ينفعه فكله مقدر عليه، ولا يصيب العبد إلا ما كتب له من مقادير ذلك في الكتاب السابق، ولو اجتهد على ذلك الخلق كلهم جميعاً، وقد دل القرآن على مثل هذا في قوله ﷻ: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾^(١)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٢)، وقوله جل وعلا: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ﴾^(٣) ١٠١ هـ. كلامه رحمه الله^(٤).

فعلم منه أن كل شيء يحصل في هذه الحياة يصيب الإنسان من خير أو شر إنما هو بتقدير الله سبحانه وتعالى، سواء رضي العبد بذلك أو لم يرض، فعلى المسلم أن يؤمن بذلك تمام الإيمان، وأن يوقن به تمام اليقين، لتحقيق الركن السادس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره.

(١) سورة التوبة، الآية: (٥١).

(٢) سورة الحديد، الآية: (٢٢).

(٣) سورة آل عمران، الآية: (١٥٤).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨٤).

الفائدة الثانية: يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «واعلم أن جميع مدار هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه، وراجع إليه؛ فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه ﷻ، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده؛ فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله سبحانه وتعالى من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عباده شيئاً، فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً، وأن يتقي سخطه ولو سخط الخلق جميعاً، وإفراده بالاستعانة، والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرخاء، خلاف ما كان المشركون عليه من إخلاص الدعاء له عند الشدائد ونسيانه في الرخاء، ودعاء من يرجون نفعه من دونه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (١). ا.هـ (٢).

الفائدة الثالثة: أن الإيثار بالقضاء والقدر من أركان الإيمان، لا يتم إيمان الإنسان إلا به، ولا يعني هذا الإيثار الاستسلام للشبهات والرغبات، والخوض في الانحراف والضلالات، والاستمرار في الذنوب والمعاصي، كلا. فإن الذي

(١) سورة الزمر، الآية: (٣٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨٤، ٤٨٥).

أمرنا أن نؤمن بهذا أمرنا أن نعمل وأن نجد ونجتهد، والرسول ﷺ قدوة الخلق أجمعين عمل وأمرنا بالعمل، وسعى وبذل الجهد، وأمرنا بذلك، كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ويجاهد في سبيل الله حتى يسيل دمه، ولم يتواكل على القضاء والقدر، روى مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»^(١)، فإن من ترك الأسباب وسمح لنفسه بالخوض في الشهوات والرغبات إنما هو ضعف وتكاسل، وجبن وتخاذل، نسأل الله العافية.

الفائدة الرابعة: أن المؤمن في قبول القضاء والقدر على درجات:

أ- الشكر: والمقصود بذلك أن ينظر إلى ما أصابه فيشكر الله سبحانه وتعالى، فتستوي عنده المصيبة وغيرها. وهذه أعلى الدرجات.

ب- الرضا بما وقع له من المصائب وعدم التسخط، وهذه درجة عليا أيضاً في هذا الإيمان، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٢)، قال علقمة: «هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى»^(٣). ا.هـ.

وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه وحسنه: أن النبي ﷺ قال: «إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم؛ فمن رضي فله الرضا، من سخط فله السخط»^(٤)، وكان النبي ﷺ

(١) رواه مسلم في كتاب القدر، باب خلق الآدمي في بطن أمه، المجلد السادس، (١٦ / ١٥٠) رقم الباب: (١) رقم الحديث: (٢٦٤٧ / ٧).

(٢) سورة التغابن، الآية: (١١).

(٣) نقلاً من: جامع العلوم والحكم (١ / ٤٨٦).

(٤) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم الحديث: (٢٣٩٨)، ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر عليه البلاء، رقم الحديث: (٤٠٢١).

يقول في دعائه: «أسألك الرضا بعد القضاء»^(١)، إن الذي يكون بهذه الدرجة العالية، فله الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، قال بعض السلف: «الحياة الطيبة هي الرضا والقناعة».

ج- أما الدرجة الثالثة، فهي الصبر على الابتلاء لمن لم يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه، والصبر واجب حتم، وله فضل عظيم، وفيه خير كثير، وأجر جزيل، **نفصله في المسائل التالية:**

المسألة الأولى: تعريفه:

الصبر هو حبس النفس عن الجزع والتسلط، ومنعها عن محارم الله، وإلزامها بأداء فرائض الله، يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه: صبر على أداء فرائض الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى». ا.هـ. كلامه رضي الله عنه.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «الصبر: حبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية، وحبس النفس عن التسخط بالمقدور، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام بها العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته، فإن لله تعالى على العبد عبودية

(١) قطعة من حديث صحيح مطول، رواه عن عمار بن ياسر: النسائي (٣/ ٥٤، ٥٥)، والحاكم في

المستدرک (١/ ٥٢٤، ٥٢٥)، وصححه ابن حبان.

(٢) سورة النحل، الآية: (٩٧).

في الضراء كما له عبودية في السراء، وله عبودية عليه فيما يكره كما له عليه عبودية فيما يحب». ا.هـ كلامه رحمته.

المسألة الثانية: الصبر على أقسام ثلاثة:

أ- صبر على طاعة الله سبحانه وتعالى، وذلك أن الطاعة تكليف من الله سبحانه وتعالى لعباده بأن يقوموا بهذه الطاعة خير قيام، فتحتاج هذه الطاعة إلى مجاهدة النفس، والصبر على القيام بها، والمحافظة عليها، والمداومة على فعلها، واستشعار الإخلاص والصدق أثناء أدائها، ومن ذلك: الصبر على توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، وإخلاص العبادة له، وكذلك القيام بالصلاة فرائضها ونوافلها في أوقاتها مكتملة الأركان والواجبات، وغير ذلك من الطاعات، ويدخل فيه ما يعمله الفرد في وظيفته العادية، فالأستاذ يحتاج إلى صبر في أداء وظيفته على الوجه المطلوب، فيصبر على تلاميذه، ويتحمل التعب والمشقة في ذلك، والطبيب يحتاج إلى صبر في معايشة المرضى وعلاجهم، والوالدان يحتاجان إلى صبر في تربية أولادهم وتنشئتهم على الصلاح والتقوى، والمرأة تحتاج إلى صبر في القيام بوظيفتها الحقيقية من تربية أولادها، والاهتمام بهم، وكذا أعمال بيتها، وخدمة زوجها وطاعته، والداعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى صبر في تبليغ دعوته إلى الناس برفق وحكمة ولين، وفيما يقول ويعمل، وهكذا، فجميع الطاعات تحتاج إلى صبر وعدم تضجر وقلق وتأفف.

ب- الصبر على معصية الله تعالى خوفاً من الله تعالى، ورجاء ثوابه، وحياءاً منه سبحانه وتعالى أن يستعين بنعمه على معاصيه، فكثير من المعاصي والذنوب، وكثير من المخالفات تهواها النفس وترغبها، وكثير منها تلبى شهوة النفس، ألا ترى المغتاب يتلذذ بتجريح فلان وعلان؟ ألا ترى الزاني يلبى شهوة نفسه الجاحمة؟ وألا

ترى النائم عن صلاة الفجر يلبي رغبة النوم؟ وهكذا.. فشهوات النفوس ورغباتها في المعاصي كثيرة، وكلها تحتاج إلى صبر ومجاهدة، فمن يصبر-مثلاً- على ضبط لسانه عن الكلام المحرم، فلا يغتاب ولا يسعى بالنميمة ولا يكذب، ولا يساعد بقوله ظالماً، ولا يجادل بالباطل، ولا يسخر بالمسلمين، ولا يستهزئ بهم، ولا يشهد زوراً، ولا يحلف كاذباً، ولا يؤذ مسلماً، فإنه بذلك يتقي آفات لسانه، ويكون ممن صبر على ذلك، ومن يصبر على حفظ فرجه فلا يستعمله إلا فيما أحله الله، فإنه يأمن على سلامة عرضه، ويحفظه من الضياع، ومن يصبر على عدم أكل الحرام فلا يتعامل فيه، فإنه يسلم من تنمية جسده على الحرام، وهكذا.

ج- الصبر على أقدار الله المؤلمة، وذلك أن الإنسان في هذه الدنيا معرض لأن يصاب بمصائب كثيرة، سواء كان في نفسه أو أسرته أو ماله، وسواء كان ذلك بمرض أو فقر أو غنى مطغ، وغير ذلك، فالمؤمن مطالب بأن يصبر على ما قدره الله تعالى عليه وقضاه، وأن لا يتسلط، فيكف نفسه ويجسها عن التسخط، مع وجود الألم وتمني زوال ذلك، وأن يكف جوارحه عن العمل بالجزع.

إن هذا الصبر من مقومات الإيمان بالله سبحانه وتعالى وبقضائه، والله جل وعلا يبتي عباده في هذه الدنيا بأنواع البلايا والمحن، وخير الناس كلهم رسول الله ﷺ، وأحبهم إلى الله عز وجل، ومع ذلك ابتلي كثيراً، وأوذي كثيراً، وفي أحواله كلها- صلوات الله وسلامه عليه- كان صابراً محتسباً، بل كان راضياً بقضاء الله جل وعلا، شاكراً لنعمه.

المسألة الثالثة: أهميته في القرآن الكريم:

اعلم أخي المسلم! أنه ورد ذكر الصبر في كتاب الله تعالى في أكثر من تسعين موضعاً، بصيغ مختلفة، تارة بالحث عليه والترغيب فيه، وتارة بالترهيب من

عدمه، وتارة بذكر جزاء الصابرين، وغير ذلك، وهنا أستعرض بعضاً من ذلك:

يقول سبحانه وتعالى أمراً رسوله ﷺ بالصبر: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعُرُوفِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهِ وَإِنَّ صَبْرَتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ (١٦٣) وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٢﴾.

كما بين سبحانه وتعالى أن الصبر من صفات الرسل السابقين، فكانت نتيجة هذا الصبر حميدة، وعواقبه سليمة، يقول جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣)، ويقول سبحانه في بيان عاقبة الصبر: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٤)، ويقول جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبُوْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٥)، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي

(١) سورة الأحقاف، الآية: (٣٥).

(٢) سورة النحل، الآيات: (١٢٦-١٢٨).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (٣٤).

(٤) سورة الرعد، الآيات: (٢٢-٢٤).

(٥) سورة النحل، الآيات: (٤١، ٤٢).

يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآسِقُونَ ﴿١﴾

ويقول جل وعلا في معرض صفات المؤمنين وما لهم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلَائِفَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ (٢)،

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (٣)، ويقول جل وعلا في عرض ما أعده الله لعباده الأبرار الصادقين الصابرين: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حَيْدٍ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّحْنَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّحْنَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّوْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْبَابِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الْعِلَّةِ مِنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾﴾ (٤) إلى آخر الآيات.

ولأهمية الصبر وعظم شأنه فقد ربط الله سبحانه وتعالى بينه وبين الصلاة ثاني أركان الإسلام، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

(١) سورة المؤمنون، الآيات: (١٠٩-١١١).

(٢) سورة الفرقان، الآيات: (٧٤-٧٧).

(٣) سورة السجدة، الآيات: (٢٣، ٢٤).

(٤) سورة الإنسان، الآيات: (٥-١٥).

وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١﴾، ويقول جلا وعلا: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٢﴾﴾، كما جعل سبحانه وتعالى الصبر من أعظم ما يوصي به المؤمنون بعضهم بعضًا، يقول جل وعلا: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾، ويقول سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٤﴾﴾.

أيها المسلم! إن طاعة الله سبحانه وتعالى، والكف عن معاصيه، وما يحصل من أقداره المؤلمة، كل ذلك يحتاج إلى صبر مستمر، ولا ينال أجر هذا الصبر إلا بالاستمرار عليه، ولذا علق النصر والظفر بالصبر، فالذي يصاب بمصيبة، أو يقدر عليه أمر من الأمور المكروهة للنفس، كمن يصاب بمرض، أو بموت قريب، أو بجائحة مالية، ونحو ذلك، فإذا لم يتذرع بالصبر فكأنه اعترض على قدر الله سبحانه وتعالى، وبالتالي قد يضعف إيمانه، ويتزعزع دينه، ويضعف يقينه بربه، وهنا يخسر شيئاً كثيراً من أمور الدنيا والآخرة، وهو لا يكسب شيئاً إذا لا يستطيع أن يحيي الميت، أو يشفي المريض، أو يرد المال، ونحو ذلك.

المسألة الرابعة: أهميته في السنة النبوية:

اعلم أخي المؤمن! أن السنة المطهرة مليئة بالنصوص النبوية الكريمة، القولية والفعلية التي جاءت في الحث على الصبر بأنواعه الثلاثة: الصبر على طاعة الله،

(١) سورة البقرة، الآية: (١٥٣).

(٢) سورة البقرة، الآيات: (٤٥، ٤٦).

(٣) سورة العصر، الآيات: (١-٣).

(٤) سورة البلد، الآية: (١٧).

والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله المؤلمة، وهنا أورد بعضاً منها، ومن ذلك مما ورد في فضل الصبر:

ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شرط الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن - أو تملأ- ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها»^(١).

وما رواه مسلم أيضاً، عن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «عجباً لأمر المؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»^(٢).

وروى البخاري ومسلم عن أبي زيد أسامة بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحبه وابن حبه رضي الله عنه قال: أرسلت بنت النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ: ابني قد احتضر - أي: حضرته مقدمات الموت - فاشهدوا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: «إن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، فأقعده في حجره، ونفسه تفوق - أي: تتحرك وتضطرب - ففاضت

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة، باب الوضوء، (٣/ ٤٥٥) رقم الباب: (١) رقم الحديث: (٢٢٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد، أحاديث متفرقة، (١٨/ ٤١٧)، رقم الباب: (١١، ١٢)، رقم الحديث: (٢٩٩٩/٦٤).

عيناه، فقال سعد: يا رسول الله! ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده»، وفي رواية: «في قلوب من شاء من عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء». متفق عليه^(١).

وروى البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر، فقال: «اتقي الله واصبري»، فقالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبي! ولم تعرفه. فقليل لها: إنه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»، متفق عليه، وفي رواية لمسلم: «تبكي على صبي لها»^(٢).

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها «أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها أنه كان عذاباً يبعثه الله تعالى على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع في الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد»^(٣).

وروى البخاري ومسلم، عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت: بلى قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي صلى الله عليه وسلم

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز، ما يرخص من البكاء في غير نوح (١/ ٣٨٣) رقم الباب: (٣٢)، رقم الحديث: (١٢٨٤) ورواه مسلم في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، المجلد الثاني (٦/ ٥٢٣) رقم الباب، رقم الحديث: (١١/ ٩٢٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب زيارة القبور (١/ ٣٨٢) رقم الباب: (٣١)، رقم الحديث: (١٢٨٣)، ورواه مسلم في كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، المجلد الثاني (٦/ ٥٢٥) رقم الباب: (٨)، رقم الحديث: (١٥/ ٩٢٦).

(٣) رواه البخاري في كتاب الطب، باب أجر الصابر على الطاعون (٤/ ١٨٣٢)، رقم الباب: (٣١)، رقم الحديث: (٥٧٣٤).

فقلت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله تعالى لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله تعالى أن يعافيك، فقلت: أصبر، فقلت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها» متفق عليه (١)(٢).

المسألة الخامسة: الصبر في حياة السلف:

الصبر بأنواعه الثلاثة سمة صحابة المصطفى ﷺ، وأخبارهم في ذلك كثيرة ومشهورة، وكتب الحديث والسير مليئة بذلك، ككتب الصحاح والسنن والمسانيد، وكتب السير والتاريخ، ككتاب سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي رحمه الله، والإصابة للحافظ ابن حجر رحمه الله، وغيرها كثير، ومن ذلك ما روي في قصة آل ياسر، فقد أخرج الطبراني - بسند رجاله ثقات - والحاكم والبيهقي وغيرهم عن جابر بن محمد أن رسول الله ﷺ مر بعمار وأهله وهم يعذبون، فقال: «اصبروا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة»، وفي رواية أن رسول الله ﷺ مر بياسر وعمار وأم عمار وهم يؤذون في الله تعالى، فقال لهم: «صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة».

وأخرج الحاكم وغيره عن عثمان بن عفان قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله ﷺ بالبطحاء - بطحاء مكة - إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام، فقال أبو عمار: يا رسول الله! الدهر هكذا، فقال: «صبراً آل ياسر، اللهم

(١) رواه البخاري في كتاب المرضى، باب فضل من يصرع من الريح (٤ / ١٨٠٩) رقم الباب: (٦) رقم الحديث: (٥٦٥٢) ورواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبها مرض أو حزن، المجلد السادس (٦ / ١٠٢) رقم الباب: (١٤) رقم الحديث: (٥٤ / ٢٥٧٦).

(٢) في كلية أصول الدين أطروحة للماجستير بعنوان: (الصبر في السنة النبوية) جمع فيها الباحث الشيخ عبد الله الخثلان، النصوص المتعلقة بالصبر في السنة النبوية.

اغفر لآل ياسر».

وروي أن أول شهيد في الإسلام أم عمار سمية، طعنها أبو جهل بحربة في قبلها فماتت، رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

المسألة السادسة: من ثمرات الصبر، وهي ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر.

أ- ما أعدده الله سبحانه وتعالى من الأجر العظيم والثواب الجزيل، كما سبق في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ب- الاقتداء بالأنبياء والمرسلين الذين صبروا في طريق الدعوة صبراً عظيماً حتى وصفهم الله بذلك كما قال تعالى: ﴿فَصَبْرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْأُمْسَلِينَ﴾.

ج- النصر مع الصبر، والفرج بعد الشدة، كما قال عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث: «واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسراً، وأن مع الشدة فرجاً»، وكما دلت عليه الأمة آنفة الذكر.

د- الدرجات العلى من الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١١٩) فَأَتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٢﴾.

(١) المؤمنون: (١٠٩ - ١١١).

(٢) الفرقان: (٧٤ - ٧٦).

هـ- الراحة والطمأنينة في هذه الحياة، كما صح عن النبي ﷺ قوله: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره له كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن»^(١).

و- بالصبر والرضا تغفر الذنوب كلها، كما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة». وغيرها من الثمرات والفوائد الكثيرة الجليلة.

أخي المسلم! إن لنا في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام قدوة حسنة، صبروا على طاعة الله فكانوا صوّاماً في النهار، قوّاماً في الليل، دعاة إلى الله ﷻ، مجاهدين صابرين محتسبين، وصبروا عن معاصيه جل وعلا، راضين بأقدار الله جل وعلا، مؤمنين صابرين.

ألا فلنقتد بهم، ولنأس بفعلهم، ولنمش على منهاجهم.

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

أسأل الله جل وعلا أن يرزقنا الصبر والرضا والشكر، وأن يجعلنا من عباده الصابرين الراضين الشاكرين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تحريجه.

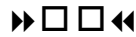
الذاتة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله وبمنه ترفع الدرجات،
وتكفر السيئات وأصلي وأسلم على نبينا محمد خير البريات، وعلى آله وأصحابه
وزوجاته الطاهرات، والتابعين لهم بإحسان ما دامت الأرض والسموات.

أما بعد:

فلقد عشنا لحظات سعيدة مع فيض من النبوة كريم، ومع وصية جلييلة من
الرسول الأمين، لخصت فوائدها وثمراتها بما سمح به البال، وخطه القلم على
ضعف علم وقلة بضاعة، فأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يجعل
ذلك في موازين حسناتنا، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، وأن يعلي به الدرجات، ويكفر
به الخطايا والزلات، وأن يجعله من الحسنات الجاريات. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



فهرس الروضعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٧	نصّ الحديث
٨	أولاً: تخريج الحديث والحكم عليه
١٠	ثانياً: فقه الحديث
١١	الوقفه الأولى
١٣	الوقفه الثانية
٢٧	الوقفه الثالثة
٢٩	الوقفه الرابعة
٣١	الوقفه الخامسة
٣٤	الوقفه السادسة
٣٤	الفائدة الأولى
٣٤	الفائدة الثانية
٣٥	الفائدة الثالثة
٣٧	الفائدة الرابعة
٣٩	الوقفه السابعة

٣٩.....	الفائدة الأولى
٤٠.....	الفائدة الثانية
٤٠.....	الفائدة الثالثة
٤١.....	الفائدة الرابعة
٥٣.....	الخاتمة
٥٥.....	الفهرس

